معرض منظمة الشبيبة الفلسطينية : يحكي واقع حال المجتمع الفلسطيني

عندما تدخل قاعة العرض ، تحس ان الزمن الفلسطيني يحتشد فيك ، ويحاصرك في ان ، رسوم تمتد من بداية التاريخ الفلسطيني ، منذ ولدت اول قرية فلسطينية في « اريحا » ، مرورا بزمن النكبة وحتى زمن الثورة ، وانت امام هذا العالم المليء بالغربة الحاضرة ، تشعر ان زمنا اليفا يقطن في اعماقك زمن الوطن ومعالم حضارته ، زمن الانسان الفلسطيني ، تتجول بين هذه العوالم فتنسى انك خارج الوطن وترتاح لهذه الرسوم كما لو انك داخل فلسطين نفسها ، لكن سرعان ما تتحول هذه الالفة الى حقد قاسي حين تفيق من سكرة امتلائك بهذه الرسوم ، وتعود لتشهد رسوم الاغتراب والتشرد والثورة ، لوحات ورسوم تحكي عن مجازر ايلول في الاردن ، فتقف مشدوها موزع التعابير وترجع بك الذاكرة الى الدم الذي نزفته شرايين الاطفال والنساء والرجال ، هكذا يصير للوحة طعم الحقد والانتقاد ، وتعرف ان بين الحلم والحقيقة ساقية من دماء الفلسطينيين ، لكن شعورك هذا يتحول الى امل ووعد ساعة ترى لوحة للفنان « سعد » رسمها بمناسبة الذكرى العاشرة لانطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فتعود اليك الثقة بالعودة رغم كل السدود والاسلاك قبضات وقنابل وعيون تتطلع باتجاه الارض وسواعد تنبت فيها شرايين قاسية ومنفتحة ، لترتاح بعد هذا الصخب الواعد امام لوحات تمثل التراث الفلسطيني ، طين وتراب وقرى سلسلة مترابطة تمثل التراث القديم الذي يشكل فينا حنينا موجعا وذاكرة جارحة تشدك للعودة الى الساحات والبيادر ، التي تحمل بين جنباتها حركات وبساطة تلك الحياة فوق ارض فلسطين ، وبعد هذا كله تقف امام لوحات متناثرة وممزوجة بالغبار غبار الحروب والدماء الخضراء ،

المعرض محاولة متواضعة من فنانين احسوا بثقل هذا الواقع فاخرجته اصابعهم ممتلئا بالقساوة والدمار والامل ،

ليؤكدوا في النهاية من خلال رسومهم واقع حال مجتمعنا اللبناني والفلسطيني بشكل خاص ،

واذا حاولنا الوقوف على هذا المعرض فنيا بعد هذا السرد للمضمون فلا نستطيع سوى القول ان هناك فنانين يشقون طريقهم الى الاصالة والنجاح وسط هذه الجلجلة من الحياة فجاءت رسومهم ملازمة للواقع المعاش تحكي وبوضوح جميل جانبا مهما في حياتنا النضالية الا وهو التراث الفلسطيني وسلوك الانسان في هذه الدوامة من الخراب ،

انها رسوم يطلق عليها اسم البدائية الواقعية اذا صح استعمال هذه العبارة ،

« معرض الكتاب العربي » يطرح سؤالاً : الى أينَ ستصل الثقافة العربية؟

- ١ -

لا بد لنا ان نطرح في البداية المشكلة التي عانى منها « معرض الكتاب العربي » على بساط البحث ، وقبل الخوض في هذا الموضوع اود ان اشير الى ان الواقع الحالي للمجتمع اللبناني خاصة والعربي عامة ، احوج ما يكون الى مثل هذه الظواهر التي تشكل وعلى اي حالات مفتاحا ندخل منه الى عمق التجربة اليومية والتراثية على حد سواء ، وبالتالي تمهد لنا سبل الدخول في مناقشة نتاجاتنا الثقافية اللبنانية منها والعربية لنقف في النهاية على الجواب الذي يبحث عنه الجميع حول الفنون المنتجة في هذه المرحلة من النضال المصيري ،

ويجدر التأكيد في هذا المجال الى اننا نحتاج وقبل كل شيء من الثقافة والفكر العربيين ان يجيبا على ما يخصنا في الصميم وان يوضحا لدى القارىء افاق ومشكلات الصراع المصيري بين الوجود .. والعدم اقصد وبالضبط صراعنا مع العدو الداخلي والخارجي على حد سواء ،

مع العلم ان هذه الارقام من الحروب ١٩٣٦ - ١٩٤٨ - ١٩٥٨ - ١٩٦٧ - ١٩٧٣ - ١٩٧٥ - هي مفتاح الثقافة العربية لانها دونما شك او جدل تشكل الواقع المعاش للانسان العربي ، ولكي لا نخرج عن الموضوع الذي تناولنا اقول ان « معرض الكتاب العربي » بالرغم من النقص الذي كان واضحا وجليا فيه ، خصوصا فيما يختص بهذه القضايا التي ذكرت ، اي القضايا الاهم ، لم يفقد اهميته كحدث ثقافي جماهيري حاول جاهدا من خلال ما يملكه ان يشكل اكبر واضخم ظاهرة عرفها لبنان ،

ان افتراضنا نابع من السيل الجماهيري الذي شهده المعرض مما يفرض جوابا مهما واساسيا، ان ليس هناك مشكلة جماهيرية او جماد جماهيري تجاه الثقافات المنتجة ، بل على العكس من ذلك هناك توكيدا على هذا الانقسام الحاصل بين الثقافة المنتجة ومتطلبات الجمهور ولتفرض هذه الجماهير جوابا اخر يبرز مدى عمق الفراغ وبعد المسافة بين الفكر والواقع ، وهذا ما يفرض علينا ان نشير الى هذه الملاحظات حول « المعرض » ،

اولا : لم يكن المعرض موازيا لطموحات اجيالنا العربية فجاءت معظم الكتب المعروضة لتظهر مدى التفاوت والغربة عن الواقع السياسي الاجتماعي الذي يشهده العالم العربي ، اي ان هذه النتاجات ما استطاعت ان تجيب على اي سؤال فرض نفسه منذ اندلاع الحرب اللبنانية وحتى يومنا الحاضر ،

ويعود هذا الى ان منتجي هذه الثقافة غير قادرين على التقاط جدلية الصراع ، او انهم ارتضوا لانفسهم موقعا توفيقيا لا يلبي ولا يجيب على متطلبات المرحلة التي نعيش ،

والجدير بالذكر ان هناك صراعا حاصلا نوجزه بهذه العبارة ، صراع الانسان في سبيل العدالة والمساواة الجماعية ضد البورجوازية وعلى الثقافة بجميع اشكالها ان تقوم بعملية مكاشفة لهذا الصراع حتى تتجلى وبوضوح لدى جماهيرنا المفاهيم الضرورية حول اشكالية هذا الصراع وسبل مواجهته ،

- ٢ -

ان الذي شاهد « معرض الكتاب العربي » يستنتج ان اكثرية الكتب المعروضة هي كتب تجارية بحتة ، حملها الربح السريع ، دون ان يكون لها اية مهمة اجتماعية او انسانية او فنية، ويمكن ان نسميها نتاجات استهلاكية لا اكثر ولا اقل ، وهذا يرجع الى عدم اعتماد المنتجين على منهجية ثورية تقدمية ، بل ان معظمهم لا زال متأثرا بالرواسب التبعية الرديئة للثقافة البرجوازية ، وهذا يؤكد كذلك ان معظم الكتب لم تجيب على المتطلبات الموضوعية الملحة للواقع العربي بل جاءت اشبه بفقاقيع الصابون تظهر قليلا ثم ما تلبث ان تنطفىء ،

- ٣ -

ان ما طرحناه حول « معرض الكتاب العربي» يتطلب منا ان نقف وقفة موضوعية وتحليلية لمثل هذه الظاهرة السائدة ، وذلك لمواجهة هذا الانتشار العدمي غير المجدي من النتاجات الثقافية ، وهذا لا يحصل الا اذا اتخذنا لانفسنا موقعا نابعا من صلب التفكير الثوري الماركسي الذي به وحده نستطيع ان نتجنب الانزلاق ثانية في متاهات هذه الثقافة المجانية ،

ولذا علينا لكي ندخل باب الثقافة المنشود ان نضع انفسنا في موقع جبهوي مع الثقافات الاخرى ، وبالطبع لا يكفي ان نعلن انتماءنا لهذه الثقافة المنشودة حتى يتحقق ما نريد ،

بل يكمن نجاحنا في مدى ايصال ثقافتنا هذه الى الجماهير ، وبما ان في حوزتنا تجارب عديدة علينا الاستفادة منها ، يصير ضروريا ان نبرز اولا عمق التناقض والتباعد بين هذه الثقافة وتلك، اذ ليس على الثقافة ان تنهج نهجا وسطيا من شأنه ان يؤثر سلبيا على مفاهيم جماهيرنا ، بل على هذه الثقافة ان تبدأ من نقطة الالتزام بالقضايا الانسانية ، وعلينا لكي نحقق هذا ان نأخذ الماركسية اللينينية منهجا في كتاباتنا عن الواقع ، واننا نجزم، ان اي منهج غير الذي ذكرت ينعت بتغريب الواقع وتحريفه ،

- ٤ -

ان معظم ما جاء في كتب المعرض هو نتاج متردي ، وسوف نتجنب التسمية حرصا منا على عدم الوقوع في الخطأ ،

لكن يتطلب لمواجهة هذا الذي ذكرت نهضة شمولية لا تتوقف فالواجب الاساسي الملقى على عاتق المبدعين والمفكرين ، هو واجب جعل هذه الجماهير ان تحس فعلا بوجود ثقافة ثورية لها مهامها التقدمية في سبيل خدمة الانسان على تكريس ثقافة لها منهجيتها المنشودة ،

وبالتالي اظهار المهام المطروحة من جانب الثقافة « الايجابية » مركزين وبشكل جدي على شطب الثقافة « السلبية » من العقلية القومية العربية ، وذلك لان هناك معركة قائمة سياسيا واخلاقيا وفنيا وادبيا وتراثيا بين ايديولجيتين متناقضتين واحدة تعمل للحضور واخرى علينا ان نوفر لها شروط الافول ، اذا نحن بحاجة الى وحدة جدلية للحقيقة الثقافية والوقوف عند حركتها الذاتية النابعة حتما من المحيط الاجتماعي المعاش والمؤثر على مسيرتها التاريخية ، وفي النهاية نستطيع القول : ان معرض الكتاب العربي ظاهرة جدية ومهمة يتوجب علينا مهمة السير بها نحو الافضل ،

ح ، ن

غلاف ديوان « الاطفال والعساكر »

« نجم » جديد يشع في سماء السودان ــ الثورة ..

"الاطفال والعساكر" تأكيد صارخ على حتمية انتصار الثوريين الحقيقيين

محجوب شريف ، اسم بالكاد سمعنا به قبلا ، هنا ، في المشرق العربي ، لكنه ، وحين تتصفح ديوانه « الاطفال والعساكر » يبدو لك شاعرا كبيرا ، قد لا يقل اهمية ، عن احمد فؤاد نجم ، وان يكن قد خاطبنا ، على مذهب نجم بالعامية ،

انه السودان الحقيقي ، سودان انتفاضة ١٩ يوليو ١٩٧١ ومن قبلها ١٩٦٤ و ١٩٢٤ ،

سودان عبد الخالق محجوب والشفيع ، وكل الذين علقتهم سلطة العسكرياريا على اعواد المشانق ، او اغتالتهم في ساحات الاعدام ،

انه سودان الشعب ، الثورة ، الموزع بين المنافي والسجون ، وفي اقبية النضال السري ، التي لا بد وان يبزغ منها ، فجر المستقبل الذي لا ريب فيه ،

العشق الثوري

اجمل ما تبدأ به ، بداية الديوان ، حيث قصيدة : « الحب والثورة » التي تؤكد على صيغة العشق الثوري ، الذي في زخمة لهفه الشخصي ، يتسع لهموم وتطلعات كل الفقراء :

« محطة محطة بتذكر
عيونك ونحن بالمنفى
وبتذكر سؤالك لي
خيوطا الحمرا ما صدفه
وبتذكر سؤالك لي
متين جرح البلد يشفا
ومتين تضحك سما الخرطوم
حبيبتنا ومتين تصفا
سؤالك كان يقربنا ويعذبنا
ويزيد ما بيننا من الفة
ويزيدني حماس » .

انه الحب ، الذي يؤجج الثورة ويدفع بالشاعر اكثر فأكثر الى احتمال عذاب السجن وأهواله ، انه الحب ، الذي يدفع بالعاشق ، الى تجديد عهود الثورة ، الذي لا يعد الحبيبة بجلسة رومانسية في ضوء القمر وانما :

« اعاهدك يا قمر ليلي
وحياة امنا الخرطو م
اشيل شيلي
واموت واقف على حيلي
واقو لك يا اعز الناس
على الوعد القديم حايين
ما بين الثورة والسكين
شيوعيين ...
وحتى الموت شيوعيين .. » .

من اين يأتي المخبرون

وفي قصيدته الشهيرة يختلط الحلم بالواقع ، فاذا هو يلتقي بعبد الخالق محجوب ، وسط الزحام ، يحاوره ويتحدث اليه ، في نوع من التأكيد على حضور الشهيد الصارخ ، ودائما في الزحام :

« قاطعني ... بتعني الاعدام ؟
الشعب يقرر مين الحي والميت مين
ونحن عمرنا لقدام ... »
انه الانتصار على الموت في سبيل القضية ،
ورغم صعوبة استيعاب اللهجات العامية ،

بين قطر وقطر عربي ، فان الكلمة الصدق ، تصل في النتيجة ، الى نوع من اللغة الفصيحة ، كما في « الاطفال والعساكر » ،

« اطفالنا ولو شفتهم
يا للصغار الغاضبين
حفظوا وجوه المخبرين .. »

انها المعاناة ذاتها ، في المشرق والمغرب ، من اين جاءنا هذا الوباء الزنيم ، الذي اسمه « المخبرين » ؟!

وفي قصيدته « رسالة الى مريم محمود » يخاطب امه بلوعة ، واصرار معا ، فاذا هي ام كل المناضلين ، خلف القضبان :

« طول النهار والليل
في عيني شايلك شيل
لكني شاد الحبل
لا خوف علي لاهم
هاك قلبي ليك منديل
الدمعة لما تسيل
قشيها يا مريم .. »

وطالما ان هناك شعراء ، تتدفق قصائدهم ، عبر القضبان ، وان اقل ما يقال التعذيب ، فهذا يعني ، ان الثورة « بالف خير » وان الفجر وشيك البزوغ ،

ع ، ج